

ظاهرة العنف لدى الطلبة في جهاز التربية والتعليم

خالد أبو عصبه

مقدمة

ظاهرة العنف في المؤسسات التربوية والتعليمية ليست بجديدة، وفي الغالب يجري التطرق إليها والتعامل معها من خلال التقارير الصحفية، ولا سيما عند حدوث حالات عنف حادة. في هذا الصدد، يجدر بالذكر أنه منذ سبعينيات القرن العشرين تطوّر البحث العلمي المنهجيّ حول انتشار ظاهرة العنف في العالم الغربيّ؛ أمّا في ما يخصّ المدارس العربية في البلاد، فلم يبدأ البحث العلميّ حول هذا الموضوع على نحو جدّيّ ومكثّف وبمنهجية علمية إلا منذ منتصف ثمانينيات ذلك القرن. كما إنّ هذا الموضوع قد اتخذ منحى أكثر جدية في العقد الأخير، إلا أنّ هذه الأبحاث تركّزت -غالبًا- في عملية رصد إحصائيّ للظاهرة دون التعمّق تعمقًا كافيًا في تحليل النتائج وتقديم التفسيرات لدوافعها وفق نظريات علمية معروفة، ناهيك عن تقديم اقتراحات حول كيفية الحدّ منها أو التغلب عليها.

العنف والمؤسسات التعليمية:

إنّ العمل التربويّ التعليميّ يرتبط وثيقًا بواقع المجتمع بكلّ حيّياته وتفاعلاته ويتأثر به. هذا الواقع يؤثر وينعكس على ما يدور في المؤسسات التعليمية وعلى مناخها الاجتماعيّ (بنبنستي، خوري-كسابري، إسنور 2005 :
(Lagerspetz et al., 1982; Olweus, 1978; Stephenson & Smith, 1989).

تطرح الأدبيات العديد من النظريات ووجهات النظر في تفسير وتعليل دوافع العنف. رغم تبنيّا النظرية الاجتماعية البيئية (Bronfenbrenner, 1979) Ecological theory، ابتغاء تفسير الظاهرة الاجتماعية وتحليلها وتعليلها، لا يمكننا الاكتفاء بمحاولة الوقوف على مدى تكرارية الظاهرة ودوافعها وتفسيرها دون محاولة طرح حلول للحدّ منها. في هذا السياق، وقبل الشروع في طرح اقتراحات عملية للحلّ، علينا التعامل مع سلوكيات الطلبة العنيفة على أنها عوارض لمشكلات عميقة أكثر، وأنّ السلوك الظاهر (على هيئة سلوك عنيف) ليس إلا بمثابة عوارض تنم عن تلك المشكلات العميقة.

من هنا، وبناء على ما جاء، ثمة حاجة إلى تشخيص جذور المشكلة التي تؤديّ هي بدورها إلى ظاهرة العنف المجتمعيّ على وجه العموم، والمدرسيّ على وجه الخصوص. فمن الجدير بالذكر أنّ الغالبية العظمى من المدارس قد تحولت إلى ساحات للقتال لا يضمن فيها الطلاب سلامتهم؛ إذ يبدو هذا العنف المدرسيّ على هيئة صراعات شخصية بين الطلبة في ما بينهم هم أنفسهم، وبينهم هم والمدرسين كذلك، قد تبلغ حدّ هجوم تُستخدم فيه

الأسلحة التي قد يسفر استعمالها عن حصول إصابات بالغة، وحتى مميتة. ومما لا شك فيه أنّ العنف الذي يحدث في المواقف المدرسية له آثاره المدمرة على المدى القريب، في كلّ ما يتعلق بقدرة الطالب على التركيز والتعلم، وعلى المدى البعيد في خلق ثقافة عنف مجتمعيّ لدى الناشئة (Duhaney, and. Garrick, 2000) (Weinhold, 2000). وهكذا يتحوّل العنف إلى نموذج للتعامل من خلال التعلم بالتجربة والممارسة، وذلك وفق نظرية التعلم الاجتماعيّ (social learning theory) (Bandura, 1973, 1977).

بادئ ذي بدء، نقول إنّ هنالك مبرراً أخلاقياً من الدرجة الأولى لمواجهة أشكال العنف في جميع مجالات الحياة، ولا سيّما في الإطار المشارك والمؤسّس للتنشئة الاجتماعية، وهو الإطار التربويّ. فوجود جهاز تربويّ ناجع وفاعل، من حيث تحصيل الطلبة علمياً وتزويدهم بمجموعة قيمية كفيّلة بنموهم وتنشئتهم اجتماعياً، وجود جهاز كهذا هو الضمانة للسلم الاجتماعيّ داخل المجتمع الواحد.

اقتراحات عملية

بما أنّ هذا المقال يطرح وجهة نظر حول الظاهرة، ولا يقدم تقريراً علمياً مقروناً بالمعطيات والتحليل للعلاقة ذات الدلالة الإحصائية بين المتغيّرات، وكذا لا يبقى مجرد متابعين في أحسن الظروف، متفرّجين ومستائين، ينبغي لنا أن نشير إذاً إلى ملاحظتين نتوخى أخذهما بعين الاعتبار لدى القائمين على جهاز التربية والتعليم، على مستوى متّخذي القرارات ورسمي السياسات التربوية العامة، أو على مستوى العاملين مباشرة في الحقل، وذلك بغية الحدّ من السلوك العنيف في نطاق المؤسسات التربوية:

الملاحظة الأولى أنّ العنف ما هو إلا نتاج مناخ تعليمي واجتماعي بيئي يعزّز مثل هذا السلوك. لذا، على المؤسسة التربوية العمل على خلق مناخ تعليمي داعم يتيح الفرصة أمام جميع الوافدين إليها للشعور بالانتماء إليها. هذا الانتماء لا يكتمل إلا من خلال العمل على أن يجد كلّ طالب الرغبة في الانتماء، والإيمان أنّ هذا الانتماء يعود بالفائدة على مستوى هذا الطالب. الأمر يتطلب أن تتحمّل المدرسة المسؤولية والمساءلة عن مدى تمكّن كلّ طالب من التقدّم في تحصيله العلمي ونموّه الاجتماعيّ. ونقول في هذا السياق إنّ اقتصار توجّه المدرسة العربية وتركيزها على المخرجات (النواتج) التحصيلية الأكاديمية، يُبقي شريحة كبيرة من الطلبة غير قادرة على الرغبة في الانتماء والشعور بضرورته، وفي النهاية يُفضي إلى عدم تمكّن المدرسة من بلوغ أهدافها الأساسية. إنّ الاقتصار على مخرجات (نواتج) تحصيل الطلبة العلميّ يعني -ضمنياً وعملياً- أنّ الطلبة الذين ليس في وسعهم المنافسة (ممن هم ضمن المتوسطين، أو حتى من هم أقل من ذلك تحصيلياً) قد طالهم الإهمال والتهميش لا محالة، ومن هنا تصبح الطريق مهّدة لإنتهاج سلوكيات غير صحيّة، لا ترمي المؤسسة التربوية والتعليمية ولا ترغب أن تمثل هذه السلوكيات المعروفة الرئيسية في ثقافة عملها التربويّ.

الملاحظة الثانية: أنّ التساهل في مواجهة العنف المدرسيّ يترتب عليها ازدياد العنف الاجتماعيّ، الأمر الذي قد يجعل السلوك العنيف نمطاً سلوكياً متعارفاً عليه، أي تتحوّل أنماط السلوك العنيف من ظاهرة مقيّنة إلى ثقافة

مجتمعيّة ومؤسّساتيّة للمجتمع بأسره. كذلك لا بدّ لنا، عند مناقشة وتناول موضوع العنف، من أن نأخذ في الحسبان أنّ مشكلة العنف المدرسيّ مشكلة معقّدة ومركّبة لا نستطيع أن نَعزّوَهَا إلى عامل واحد، بل ثمة مجموعة عوامل اجتماعيّة ونفسية مقترنة بهذه الظاهرة. وينبغي لنا نحن أبناء المجتمع العربيّ- ألا يقتصر دورنا على المناقشة، بل لا بدّ أن نتخطاها إلى دراسة عوامل الخطورة المنبئة بالعنف، وإنشاء مراكز متخصصة لدراسة العوامل الأساسيّة للوقاية، ثمّ وضع إستراتيجيات فعّالة للتدخّل العلاجيّ. كلّ هذا في سبيل خلق جوّ مدرسيّ آمن ومدرسة فعّالة تقوم بوظيفتها المنوّطة بها، وفي النهاية الوصول إلى مُرادنا الأشمل: السلم المجتمعيّ القادر على إتاحة الفرصة للتقدّم والتنمية المجتمعيّة.

د. خالد أبو عصبه هو مدير معهد مسار للأبحاث الاجتماعيّة.

بنبنستي ر، خوري كسابري م، و ر أستور (2005)، **العنف في جهاز التعليم**، قسم العمل الاجتماعي، الجامعة العبرية القدس (بالعبرية)

Bronfenbrenner, U (1979). Basic concepts In U. Bronfenbrenner (Ed.). **The Ecology of Human Development**. Cambridge: Harvard University Press: 3-15.

Weinhold, Barry K (2000) Bullying and School Violence: the tip of the iceberg. In: **The Teacher Educator** v. 35 no.3 p. 28-33

Bandura, A. (1977). **Social Learning Theory**. New Jersey: Prentic-Hall.

Bandura ,A (1973) *sA Social Learning Analyisi ,Agression* . New Jersey: Prentic-Hall.

Duhaney, Laurel M. Garrick (2000 (Culturally sensitive strategies for violence prevention. In: **Multicultural Education** v. 7 no.4 p. 10-17

Lagerspetz, K. M. J., Bjorkqvist. K., Berts. M. & King. E (1982). Group aggression among school children in three schools.*Scandinavian Journal of Psychology*, 23: 45-52.

Olweus, D. (1978). **Aggression in the schools: Bullies and Whipping Boys**. Washington: Hemisphere Publishing.

Stephenson,P,& Smith, D. (1989). Bulling in the junior school. In D.Tattum & P. Lane (Eds), **Building in school**,(pp.45-58). Stock-On Trent: Tretham Books.